



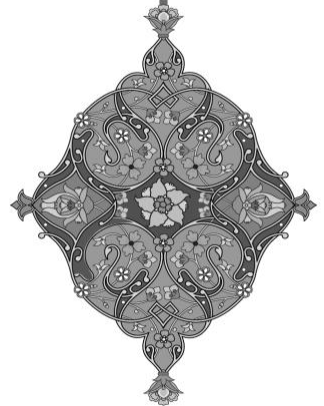
أهل الفضائل

تأملات في خطبة المتقين (١٩٣)

الشيخ محمد حسن الحبيب

ومشيهم التواضع

٤



ومشيهم التواضع

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وَمَشِيَهُمُ التَّوَّاضُعُ﴾.

المشي هو السير أو الانتقال في حال الاختيار على القدمين من مكان إلى آخر، والتواضع ضد التكبر، ويراد منه الانخفاض.

والمراد من التواضع في المشي هنا هو التخلق بهذا الخلق العظيم في مسيرة الانسان وأموره العملية والحياتية.

قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾. سورة لقمان، آية ١٩.

والقصد في المشي هو الاعتدال فيه والابتعاد عن الحركات الاستعراضية المنافية للرزانة. ويمكن القول إن الدعوة إلى حالة الاعتدال لا تقتصر على المشي بل تشمل حياة الانسان كلها، وذكر المشي في هذه الآية لأهمية هذه الصفة ولأنه قد يكشف عن الاستواء والاعتدال في النفس والسلوك من عدمه.

وجاء عن بعض الأعلام أن كلمة القصد هنا تعني تحديد الهدف، ولا يصح من العاقل ان يمشي بلا هدف، كما تعني الاقتصاد أيضا، ولا شك أن من يمشي على بصيرة ولهدف معين لن يحتاج إلى صرف المزيد من الطاقات التي لا داعي لها. (١)

وهذا يكشف عن حالة الاستواء التي يتمتع بها من يضع لمشييه ومسيرته أهدافا يقصدها بعينها ويقتصد في الوصول إليها.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ سورة الفرقان، آية ٦٣.

قال السيد المدرسي: علاقتهم مع الطبيعة و الناس علاقة الرحمة، لأنهم عباد الرحمن- و لا غرابة- فقد انعكس اسم الرحمن الإلهي على شخصيتهم فصيغت بقالب هذا الإسلام المقدس، و هذا ما يدعوهم للسير هونا على الأرض، مشية متواضعة لا كمشية المتكبرين على العباد و المفسدين في الأرض، و لا كمشية الأذلاء و الدونية. هذا بالنسبة للأرض، أما بالنسبة للمجتمع فإن علاقتهم علاقة رفق مع الآخرين، و خلفية كل ذلك أنهم يتكيفون مع السنن و القوانين الإلهية الثابتة، في علاقاتهم مع الطبيعة و المجتمع، مقتنعين بوجود سبل و أساليب ينبغي العمل وفقها، و السير في اطارها للاستفادة من الإمكانيات الهائلة المودعة من قبل الله في الطبيعة، و ينعكس ذلك أيضا على مواقفهم الاجتماعية و السياسية، فلأنها نابعة من فطرتهم النقية التي ترفض التكلف و التبختر فإنها مشية معتدلة. لا تظاهر فيها ولا صخب. (٢)

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ سورة الإسراء، آية ٣٧.

قال في التبيان: نهي للنبي ﷺ والمراد به الأمة أن يمشوا في الأرض مرحين. وقيل في معنى المرح أربعة أقوال:

أولها: أنه البطر والأشر. والثاني: التبخر في المشي والتكبر. الثالث: تجاوز الإنسان قدره مستخفاً بالواجب عليه. الرابع: شدة الفرح بالباطل.

وقوله ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ مثل ضربه الله بأنك يا إنسان لن تخرق الأرض من تحت قدمك بكبرك ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ بتطاولك. والمعنى أنك لن تبلغ بما تريد كثير مبلغ، كما لا يمكنك أن تبلغ هذا، فما وجه المكابرة على ما هذه سبيله مع زجر الحكمة عنه. وأصل الخرق القطع، خرق الثوب تخريقاً أي قطعة ورجل خرق أي يقطع الأمور التي لا ينبغي أن يقطعها. والخرق الفلاة، لانقطاع أطرافها بتباعدها. (٣)

روايات التكبر والمشي

قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ اخْتِيَالًا لَعَنَتْهُ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ﴾. (٤)

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ﴿بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ص يَمْشِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا جَمَاعَةٌ فَقَالَ مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ فَقَالُوا مَجْنُونٌ يُخْنَقُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْمُبْتَلَى وَلَكِنَّ الْمَجْنُونَ الَّذِي يَخْطُو بِيَدَيْهِ وَيَتَبَخَّرُ فِي

مَشِيهِ وَيُحَرِّكُ مَنْكَبِيهِ فِي مَوَكِّبِهِ يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ جَنَّتَهُ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى
مَعْصِيَتِهِ ﴿٥﴾ .

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع يَمْشِي مَشِيَّةً
كَأَنَّ عَلَى رَأْسِهِ الطَّيْرَ لَا يَسْبِقُ يَمِينُهُ شِمَالَهُ﴾ . (٦)

وروي عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى
مشى مشياً يعرف أنه ليس بمشي عاجز ولا كسلان. (٧)

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا مَشَيْتَ [مَشْتٌ] أُمَّتِي الْمُطَيَّبَاتِ (٨)
وَخَدَمَتُهُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ كَانَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ . (٩)

قال بشير النبال: كنا مع أبي جعفر عليه السلام في المسجد إذ مر
علينا أسود وهو ينزع في مشيته فقال له أبو جعفر عليه السلام: ﴿إِنَّهُ
لَجَبَّارٌ﴾ . قلت إنه سائل! قال: ﴿إِنَّهُ جَبَّارٌ﴾ . (١٠)

لماذا التكبر

ذلة في النفس أو بتعبير آخر عقدة النقص أو عقدة الحقارة
هي السبب وراء التكبر عند بني البشر.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿مَا مِنْ رَجُلٍ تَكَبَّرَ أَوْ تَجَبَّرَ (١١) إِلَّا لِدَلَّةٍ
يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ﴾ . (١٢)

وقد أثبت العلم الحديث أن التكبر عادة ما يحمل دلالة واضحة على الشعور بالنقص والضعفة، والمصاب عادة ما يتهم الآخرين بالتسبب له في هذه المشكلة، ويعتقد أنه بسلوكه المتعالي بالمشي أو بغيره أنه قد تمكن من إخفاء ضعفه عن أعين الناس والحقيقة أنه يعيش في وهم من حيث لا يعلم.

تواضع الأنبياء

قال الشيخ أحمد بن فهد الحلبي: حدثني بعض أصحابنا أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام إذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيرا منه فجعل موسى لا يعترض أحدا إلا وهو لا يجسر أن يقول إني خير منه فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتى مر بكلب أجرب فقال اصحب هذا فجعل في عنقه حبلا ثم مر به فلما كان في بعض الطريق شمرك الكلب من الحبل وأرسله فلما جاء إلى مناجاة الرب سبحانه قال يا موسى أين ما أمرتك به قال يا رب لم أجده فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لو أتيتني بأحد لمحوته من ديوان النبوة. (١٣)

- (١) من هدى القرآن، ج ١٠، ص ١٥٥.
- (٢) من هدى القرآن ج ٨، ص ٤٧٣.
- (٣) التبيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ٤٧٩.
- (٤) مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٢٣٩.
- (٥) مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٢٣٩.
- (٦) مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٢٣٩.
- (٧) مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٢٣٩.
- (٨) المطيطة: التبختة ومد اليدين في المشي.
- (٩) مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣٣.
- (١٠) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٣٠٤.
- (١١) جاء في بحار الأنوار: أو تجبر يمكن أن يكون التزديد من الراوي و إن كان منه ~~عليه السلام~~ فيدل على فرق بينهما في المعنى كما يومئ إليه قوله تعالى الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ و في الخبر إيماء على أن التكبر أقوى من التجبر و يمكن أن يقال في الفرق بينهما إن التجبر يدل على جبر الغير و قهره على ما أراد بخلاف التكبر فإنه جعل نفسه أكبر و أعظم من غيره و إن كانا متلازمين غالباً. بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٢٦.
- (١٢) وسائل الشيعة ج ١٥، ص ٣٨٠.
- (١٣) عدة الداعي ص ٢١٩.